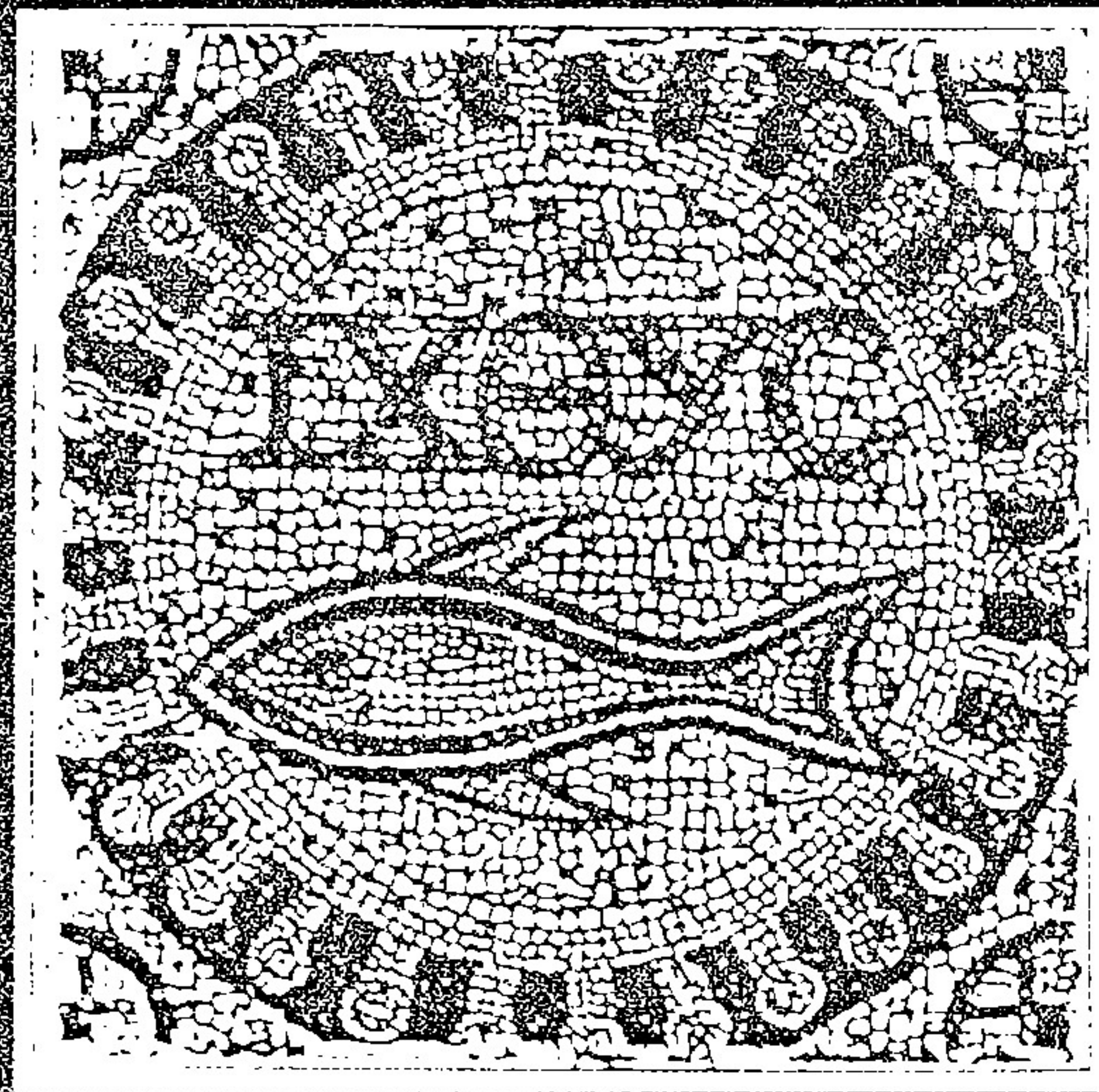


✠  
إيبارشية إيرلندا واسكتلندا  
وشمال شرق انجلترا

لكي لا ننكر المسيح



لماذا يرتد البعض؟!!

**St. Athanasius Monastery**



*Langdal End Scarborough, North Yorksahire,  
YO13-0LH, England - UK  
Telephone : +44 (0) 1723 882341*

*www.bishopantony.org  
E-mail : stathanasiusmonastery@yahoo.com*



إيبارشية أيرلندا واسكتلندا

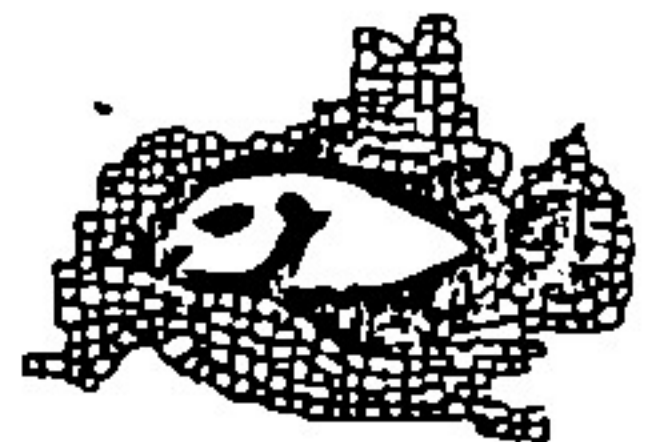
وشمال شرق إنجلترا

# لكي لا ننكر المسيح

لماذا يرتد البعض؟

القس

أثناسيوس فهمي جورج



سلسلة الكتب

## مقدمة لماذا يرتد البعض؟ لكي لا تنكر المسيح

\* الشيطان دائماً يقاوم مملكة المسيح لانه قد أن الآوان لنسل المرأة أن يسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) أنه يحارب إرادة الله بعد أن ضاق بامتداد الملكوت، وهو لا يزال يصرخ « ما لنا ولك يا يسوع أتيت لتهلكنا » (لوقا : ٣٤) يشير الاضطهاد والضلال والشكوك والغواية في كل عصر، يحارب بر المسيح ذاك البر الالهي الحقيقي، إنه لا يطبق الطهارة ولا السلام والوداعة والحب والاتضاع والخير والنور والتعفف.. إذ أنه عدو وقتال للناس منذ البدء وهو المشتكى والكذاب وأبو الكذاب، الذي سمته الكنيسة «غير الرحيم» ضد المسيح الذي يعمل في أبناء المعصية، والانبياء الكذبة، والذئاب الخاطفة الضالة. بينما مصيره في المحصلة النهائية، في البحيرة المتقدمة بالنار والكبريت (رؤ ٢٠ : ١٠).

\* لقد حذرنا المسيح ربنا « انظروا لا يضلكم أحد » (مر ١٣ : ١٥) نلبس سلاحه الكامل حتى نقدر أن نثبت ضد مكائد إبليس (اف ٦ : ١٠). حيث أنه يجول ينفث سمومه وغضبه وهلاكه. ليقتنص من يبتلع وعوده وإغراءاته الكاذبة أو وعيده وتهديده. لكن الله صادق في وعده وهو لا يشمخ عليه، أي لا يسخر منه Mocked at، فما يزرعه الانسان أياه يحصد، وأيضا من يزرع للجسد... للخطية، فمن الجسد والخطية يحصد فساداً، ومن يرتد إنما يدين نفسه ويقطع نفسه بنفسه من الكرمة، فالمرتد لا يسر به الله (عب ١٠ : ٣٦) ويكون ارتداده للهلاك، أما الايمان هو طريق اقتناء النفس.

أن توصيف حالة الشخص المرتد إنما هي : الدوس على ابن الله، وتدني دم العهد الجديد الذي استأمنه عليه الله، والازدراء بالروح



نيافة الأنبا أنطوني  
أسقف أيرلندا واسكتلندا  
وشمال شرق انجلترا وتوابعها



قداسة البابا شنودة الثالث  
بابا الإسكندرية  
ويطريك الكرازة المرقسية

اسم الكتاب : لكي لا تنكر المسيح  
المؤلف : القس / أثناسيوس فهمي جورج  
الناشر : دير القديس أثناسيوس الرسولي  
إيبارشية أيرلندا واسكتلندا وشمال شرق انجلترا  
الطبعة : الأولى  
تاريخ النشر : يوليو ٢٠٠٧  
تجهيزه وتنفيذ : الرواد - ت : ٤٨٤٤٦٢٢ (٠٣)

القدس ويعمل نعمته.. اذ أن كل من يرتد عن الايمان الحق انما يفترى ويهين خلاص المخلص، غير مقدر البركات الالهية التي للحرية وللقداء، وبجهالة يرجع إلى العبودية التي انقذ منها، بدلا من أن يصون إيمانه ويحفظ دعوته، حيث أن الذي فدانا قادر أن يحميهم إلى التمام. فليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الورااء يصلح لملكوت الله (لو:٩:٦٢)، والارتداد للخلف «إلى الورااء» أمر شرير، اذ العبرة لا لمن يبدأ بل لمن يكمل ولمن يصبر إلى المنتهى فيخلص. أما من ينظر للخلف يكون كمنصب تذكاري للنفس المرتدة غير المؤمنة... لذا يوصى الاباء بالابتعاد عن الارتباك والنكوص والتباطؤ، وبضرورة التكميل بسبب زيت المسحة التي قبلناها، وبالتجاوب مع النعمة بالسلوك لئلا نكون قد اخذنا النعمة عبثاً، نعتزف بعمل الله معنا ونعيش كما يحق لانجيله مع كل الذين امتدحهم الرب لأنهم تاجروا بوزناتهم وربحوا.

\* أن ضرورة تثبيت الايمان هي قضية الابدية، وهي وظيفة تمس بنيان كيان الكنيسة أم الاولاد الفرحة (مز:١١٣:٩) التي تلذ اعضاءها وتجمعهم وتحفظهم لحياة ابدية.. تسلمهم الايمان المتين بالتربية والتوعية والتقوية المستمرة، وسط تيارات الانحراف والإغراء والزعزعة والانجذاب والطياشة والهجوم المسعور على العقيدة.

\* فالمجهود المطلوب كبير والمرتبجى أكبر، والحصاد كثير يحتاج إلى فعلة يرسلهم رب الحصاد للاقتقاد والتعليم والرعاية وخدمة الاحتياجات خلال المؤشر الجغرافى والاسرى والشخصى والفئوى والمجتمعى بالخرائط والتدابير اللازمة على كل الاصعدة. لنثبت اخوتنا ونفتقد سلامتهم حتى يتمسكوا بالمواعيد الالهية وينحصنوا بالرجاء الحى، بسطاء كالحمام حكمااء كالحيات (مت:١٠:١٦) مستعدين لمجاوبة كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذى فينا (١بط:٣:١٥) ولنجعل دعوتنا واختيارنا ثابتين

بالاعمال الصالحة حتى لا نُزل ابدأ (٢بط:١:١٠) عالمين أننا دعينا لكى نرث البركة، عندما يأتى الديان ولا يبطل، حيث يرث الحكماء مجداً (أم:٣:٣٥) والاغبياء حماقة (أم:٤:١٨).

\* ليت الله يرسل فعلة لصيد النفوس إلى شبكته الالهية.. يحملون صليبه الظاهر للعيان حيناً والمختفى فى قلوبهم احياناً كثيرة، فعله لهم سيرتهم بالتقوى والقداسة، غيورين على مجد الله كل حين، متذكرين اكاليلهم مهما كانت الجراح والصعاب، مقتدين بالسخاء الذى لا يعير. لهم ركب منحنية ونفوس مترفقة تحتمل الجهد والسفر والتعب والتفتيش والنقاش والعطاء بروح الالتزام والاحساس بالمسئولية مع احتمال الالام والاعتاب والتحدى بالستر والسرية.

\* والان نستودع بين يديك يا سيدنا الرب هذه الدراسة كى تكون لمجد اسمك القدوس وسبب بركة ومنفعة لمن يقرأ ويعمل.. ذاكراً النماذج الحية التى عاينتها عن قرب فى نصيب هذه الخدمة والذين هم الان عندك يا اله الاحياء بعد أن مجدوا اسمك وحملوا صليبك ونالوا شركة كأس مسيحك.. أولئك يارب الذين اخذتهم الدكتور بهجت عطا الله، والدكتور نبيل صبحى، والدكتور طلعت عبده حنين نوح نفوسهم فى اورشليم السماوية ورسخهم فى ديارك يا اله الكل واعطهم يا رب أجرهم السماوى عوض حفظهم وغيرتهم على إيمانك، واقبل إليك سؤالتهم وهم الان فى حرية الروح من أجل ظروف واحتياجات هذه الخدمة. أما نحن الغرباء فى هذا العالم احفظنا فى إيمانك وانعم لنا بسلامك إلى التمام. لك المجد أبىك الصالح والروح القدوس.

القس اثناسيوس فهمى جورج

Ireland Dublin

2007

IXΘΥΣ



## آلام الرب الجديدة

لا يزال الرب يتألم بسبب فساد الأعضاء الذين سقطوا وارتدوا عن الوصية المقدسة (٢بط ٢: ٢١) ويصفهم القديس بولس الرسول بتدقيق: «الذين داسوا ابن الله ، وحسبوا دم العهد الذى قدسوا به دنساً ، وازدروا بروح النعمة» (عب ١٠: ٢٩) فكان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعدما عرفوا يرتدون .

يقول الكتاب أن مثل هؤلاء يسببون للرب آلاماً مبرحة ، إذ يجددون عليه آلام يوم الصليب: «يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه» (عب ٦: ٦) ، ذلك لأنهم يضعون عار الخطية على الجسد المقدس الذى اشتركوا فيه ، والذى صار فيهم ، فيجعلوا جسد المسيح شريكاً فى إثمهم ونجاستهم «أفأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟» (١كو ٦: ١٥) لأن أجسادهم بعد أن تتحد بالمسيح تصير أعضاء فى جسده «ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح» (١كو ٦: ١٥) .

فإذ هم يستهينون بسيادة الرب ، ويدنسون أجسادهم (يه ١: ٨) يحسبون الدم الذى قدسوا به دنساً (عب ١٠: ٢٩)!! وليس ذلك فقط بل إذ يرتدون علناً (٢بط ٢: ٢١) ويصنعون الخطية بإستهزاء مزدرين بروح النعمة (عب ١٠: ٢٩) ، ليس فقط يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية بل ويقول الكتاب «ويشهرونه» أى يفضحونه!! إذ يخضعون للشيطان جاعلين الشيطان أفضل من المسيح والروح القدس ، فيكون عملهم كمن يعطى

القدس للكلاب» (مت ٧: ٦) أو يبيع ابن الله بثلاثين من الفضة!! وهم فى إقترافهم الخطايا عن عمد يضعون عارها على الجسد المقدس كما كان على الصليب تماماً ، لذلك قيل أنهم «يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية» .

ولكن لم يقل الكتاب «إنهم يصلبون ابن الله» فقط ، بل يصلبون «لأنفسهم» ابن الله ، أى أنهم يتحملون وحدهم مسئولية هذا العمل وعقابه كيهودا الذى أسلم الجسد للصليب والفضيحة عن عمد ، لذلك لم يجد مكاناً للتوبة ، كذلك تمتنع التوبة والتجديد لمن يستهينون بالجسد والدم والروح «لا يمكن تجديدهم للتوبة» .

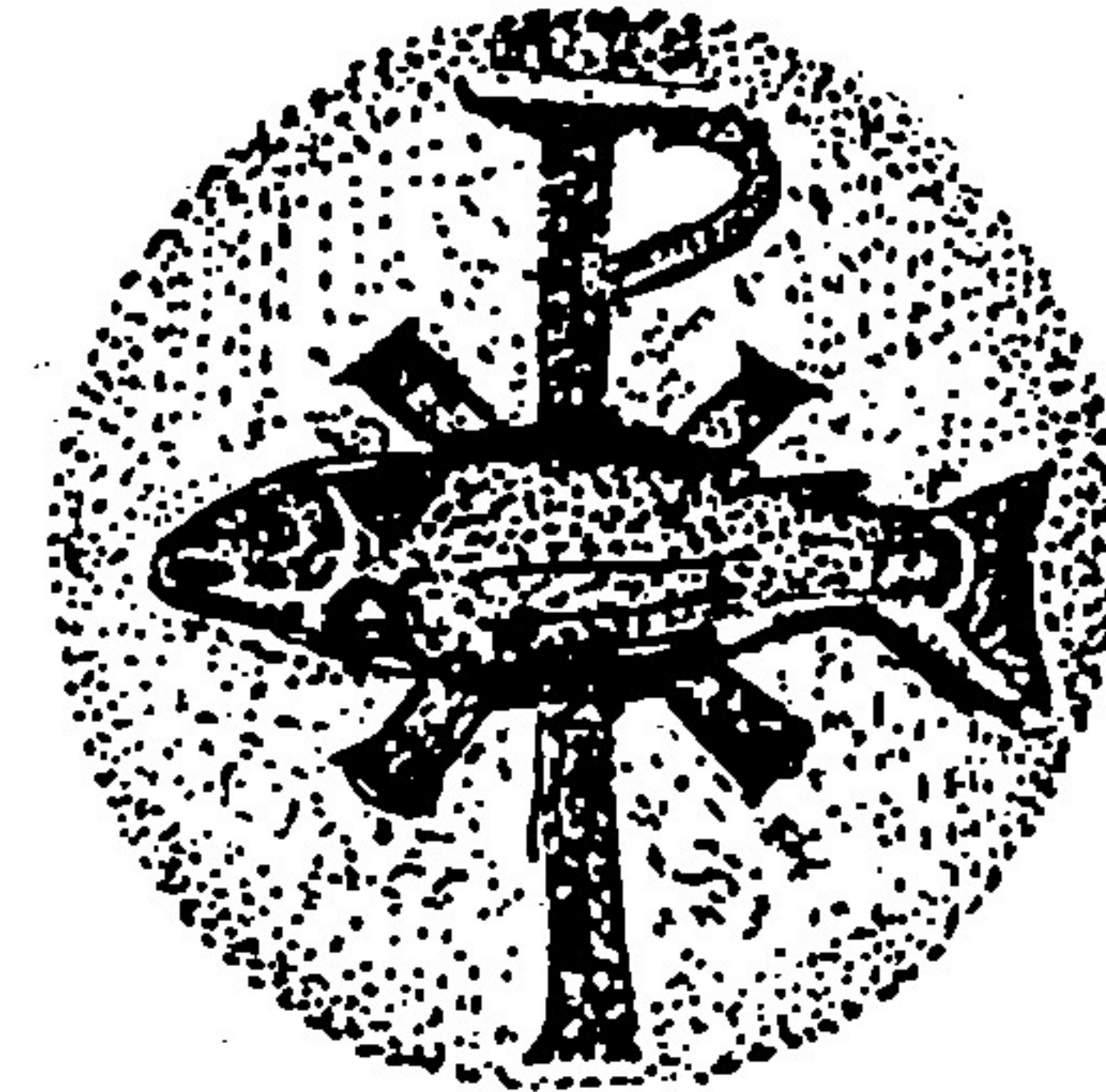
لذلك فإن عقابهم يكون أشد من عملهم (عب ١٠: ٢٩) ، إذ يقطعهم الرب من جسده متألماً ، كمن يقطع الغصن الفاسد من الكرمة بلا رحمة «كل غصن فى لا يأتى بشمر ينزعه» (يو ١٥: ٢) ليلقى فى النار .

وهؤلاء الذين يجحدون الإيمان ويتركون الطريق والدعوة التى دعوا إليها ، يرددون صدى أصوات «أصلبه ، أصلبه» لترن فى آذان المخلص فى السماء بسبب إرتدادهم عن الإيمان والوصية المقدسة ، فمن جحد المسيح إنما اشترك فى صلبه «إذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً» (٢بط ٢: ١) .

إن خطر عدم الوعى الإيمانى الصحيح يجعل بعض الأوراق الخريفية تذبل وتسقط منفصلة عن الكرمة ، عندما تفرط فى وديعة إيمانها من أجل مال أو جنس أو شهوة ، بينما تزكية إيمانها هى أئمن من الذهب

الفاني (١ بطا ٧: ٧).

والذين غلظت قلوبهم وأذانهم وثقلت أسماعهم وغمضوا عيونهم لكي لا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بأذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فيشفاهم (مت ١٣: ١٥) تعمدوا العناد والمقاومة والإنكار والشك والرفض والإستهانة أولئك يصلبون المسيح ثانية « فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره » (عب ٢: ٣).



## الإرتداد الجزئي

يعيش البعض في أمية روحية وفي جهالة ، ولا يأخذون من المسيحية إلا إسمها فيحيون «مسيحية إسمية» في إرتداد جزئي ، تلك التي يصفها الآباء بأنها «خطية جميع الخطايا»، عندما يتسموا مسيحيين وهم ليسوا كذلك ، وما من شك في أن الإرتداد الجزئي يؤدي الى إرتداد كلي .

### الخطية أصل الداء

إذا أصيب إنسان ما بالحمى ، فأشتهى أن يشرب مشروباً بارداً وهذا ليس في صالحه ، وجاء الطبيب ومنعه أن يتم شهوته فتزايدت فيه الرغبة وتناوله حسب شهوته المهلكة ومات ، فليس من عيب هنا على الطبيب الذي مهمته أن يمنع ، أما التحفظ والإحتراس فهذا واجب المريض يقيناً ، وبهذه الطريقة أهلك الشيطان يهوذا عندما غمره بالطمع فأشتهى مال الفقراء وسرق الصندوق وازدرى بالنعمة « كم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله » (عب ١٠: ٢٩) .

« إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية » (يو ٨: ٣٤) والبعض لا يستطيعون إكتشاف دهاء وخبث الخطية وتلونها بألوان زائفة أمام الساذجين بأعذار بريئة ، بعيداً عن التقييم الواقعي للخطية « لا تقدر شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة » (مت ٧: ١٨) .

فلو رفض الإنسان الخطية وصد الشيطان مقاوماً شكوكه ، تُعطي له

الغلبة ويتوج بعدم الموت «قاوموا أبلّيس فيهرب منكم» (يع ٤: ٧) ،  
ولأصبحت حياته إرتقاءً من مجد إلى مجد «إقتربوا إلى الله فيقترب  
إليكم» (يع ٤: ٨) والإنسان الروحي لا يعمل الخطية «نعلم أن كل من  
ولد من الله لا يخطئ ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه»  
(١ يوح ٥: ١٨)

كثيرون من الذين تدخل قلوبهم محبات غريبة يتورطون في العصيان  
والجهالة ويتمرغون في حماة الخطية التي تودي بهم إلى الإرتداد ، لأنه  
لا توجد خلطة للبر مع الإثم ، ولا شركة للنور مع الظلمة ، ولا إتفاق  
للمسيح مع بليعال (٢ كو ٦: ١٤) ومملكة الخطية لا يمكنها أن تعيش  
ملكوت الله .

ونتيجة للبداية الروحية الخاطئة والفتور الروحي الذي يصيب البعض ،  
أو بسبب السطحية والامية الروحية ، أو بسبب الشكلية والروتينية في  
الممارسات الروحية ، أو بسبب التنشأة البعيدة عن الجو الكنسي الحي ،  
يسقط الإنسان فريسة للخطية ، فما أسهل التزاحم على المسيح ، وما أقل  
الحاصلين على الشفاء .

فلا يقدر الإنسان أن يعترف بالله ولو دعى نفسه مسيحياً آلاف المرات  
بينما هو يخطئ ضد الله ، فمن يسمح لنفسه أن يصنع ما يكرهه الله لا  
يقدر أن يعترف بالله ما دام يحتقر الوصايا الإلهية ويرجع للأمر العتيقة .

إن الناظر إلى النفوس التي تبسح المسيح يجدها في شقاوة الخطية ،  
تحتقر النعمة من أجل مجانيتها ، وعندئذ يلقى الشيطان بالخطايا في قلبها

فتصير كيهودا الذي دخله الشيطان فباع المسيح بالفضة .

فلنسمع العروس في نشيد الأنشاد - التي هي أنا وأنت والكنيسة كلها  
مجتمعة - وهي تخاطب عريسها المسيح قائلة: «قد خلعت ثوبي (العتيق)  
فكيف ألبسه؟ قد غسلت رجلي فكيف أوسخهما؟» (نش ٥: ٣) وكأنها  
تقول لنا ما قاله القديس بولس الرسول «نحن الذين متنا عن الخطية  
كيف نعيش بعد فيها» (رو ٦: ٢)!!

### هل يجبر الإنسان على الإرتداد عن الوصية؟

إن نوالنا الخلاص إنما يكون بأعمال إقتدائنا بالمسيح ، فالمسيحي الذي  
يضل طريقه في متاهة طرق متشابكة لا يقتفى أثر المسيح مخلصنا الذي  
نجنا بأفعاله الخلاصية التي صنعها من أجلنا ، وأعطانا أن ننال هذا  
الخلاص بإقتفاء أثار أقدامه .

فسيمون الساحر فقد نعمة الخلاص لأن قلبه لم يكن مستقيماً أمام  
الله (أع ٨: ١٣) ، لذلك فإن آباء الكنيسة حينما يتكلمون عن نعمة  
المعمودية يتكلمون عن قوتها للخلاص ، ولا يقصدون مجرد أداء طقس  
المعمودية بل هم يقصدون بالحرى بركات سر المعمودية المصحوب بالإيمان  
الحي ، ذلك الإيمان لا يبقى ساكناً بل يتحقق ويظهر يوماً فيوماً من  
خلال الجهاد الروحي والعبادة وشركة القديسين والتوبة المتجددة والتطبيق  
الدقيق لوصايا الإنجيل .

وهكذا فإن الإنسان المسيحي وهو يجاهد ليحصل على الملكوت إنما

يمارس خلاصه فى حياته اليومية ويعيش شاهداً لقوة هذا الخلاص ، بعد نوال الروح القدس الذى هو عربون ميراثنا والمتعهد بتكميل خلاصنا .

لقد تكلم المسيح فى أحد أمثاله عن «الأقوى» الذى استطاع أن يوثق «القوى» ويدخل بيته وينهب أمتعته (لوا ١١: ٢١) ذلك الأقوى هو المسيح مخلصنا وحده الذى يغلب إبليس وينزع الفريسة البريئة من تحت قبضته وسلطانه.

لكن ينبغى أن يقبل الإنسان المسيحى عمل النعمة وأن يتجاوب مع الإيمان ، وقد يكون عمل الإيمان من جانب البشر صغيراً جداً ليس أكبر من حبة الخردل ، لكنه دور الإنسان باعتباره حر الإرادة لا مسلوب الإرادة لأن الصلاح لا يمكن أن يفرض بالقوة على الإنسان .

لذلك لا بد أن تظهر ثمار الخلاص فى حياة الإنسان المسيحى ، فى أن يعيش خلاص المسيح بالإيمان ويحرسه بالأعمال والاجتهاد «كونوا راسخين» لأن رسوخ الإيمان يعنى سلوكاً يرضى الله الذى دعانا إلى ملكوته ومجده (١٢: ٢) حاسبين أنفسنا أمواتاً عن الخطية لكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا (رو٦: ١).

عجيبة هى دعوة الحياة المسيحية التى تخاصرنا حتى فى ضعفنا وفتورنا وتقلبات الفكر والجسد ، إذ أن المسيح بنفسه تكفل أن يسد ضعفنا «الذى سيثبتكم ايضاً الى النهاية بلا لوم... أمين هو الله الذى به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١ كو١: ٨) .

أما النفس المغلوبة من إبليس فيسهل إرتدادها عن الإيمان (عب ٢: ٣) لذلك يحذر القديس بولس «انظروا ايها الإخوة أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير بعدم إيمان فى الإرتداد عن الله الحي» (عب ٣: ١٢) .

ويشبه القديس باخوميوس الإنسان المسيحى الذى تصيبه الغفلة عن خلاص نفسه ويستسلم للإفراط فى أعمال الجسد والإستهتار بالنعمة ، بشمشون الذى أصابه الغرور واستسلم لإمرأة غريبة حلقت رأسه ففارقه روح الله فى الحال ، وبالتالي ضعفت قوته فأتى الغرباء وربطوه وذهبوا به إلى موضع الطحن حيث أصبح أضحوكة وألعوبة ، ثم قلعوا عينيه وصيروه أعمى .

وكل من يتهاون بخلاص نفسه ويهادن الخطية ويكون تحت نير مع غير المؤمنين ، لن ينفك من الأسر حتى يموت عند الغرباء كعبد أسير... فلنستيقظ من الغفلة ونهرب من القاسى القلب الغاش لئلا يقلع عينى عقلنا .

ولن يجبر إنسان على عمل الشر لأن هذا لا يمكن أن يحدث إطلاقاً ، ولا يرغب الإنسان على السقوط فى أية خطية ما دام لا يقبلها بل يقاومها. أما الإنسان الذى يتهاون بخلاص نفسه فشهوته هى التى تصرعه ، والذى يفسح للخطية مجالاً فى داخله بتوانيه ورغبات قلبه المنحرفة ، يسهل جداً أن يفرض عليه الشر أو الخطية من خارجه .

ينبغى ألا نتصور أن الإنسان يسقط فجأة ، ولكن لابد أن يسبق ذلك إخفاق أو إتخداً وممارسة خاطئة للحياة المسيحية ، تماماً كما أن المنزل

لا يسقط أبداً بإنهيار مفاجئ بل عندما يكون هناك خطر أو صدع فى أساساته أو بسبب تجاهل سكانه لمدة طويلة تترب أسباب الإنهيار «بالتجاهل الغبى يسقط البناء وبارتخاء اليدين يتحطم البيت» (جا ١٠: ١٨) وهذا بعينه ما يحدث للنفس التى تصل إلى أن «الماء المتسرب يجرّد الإنسان من بيته فى يوم عاصف» (أم ٢٧: ١٥)

إن سقوط الإنسان لا يحدث فجأة ، إنما أوجاع النفس تتسرب تدريجياً فإن لم تقاوم فى أوائل تسربها ، لا بد أن تتحطم دعائم الحياة الروحية وتتحوّل النفس من الارتداد الجزئى إلى الارتداد الكلى .

كل غصن لا يتغذى من عصارة الكرمة لا ينمو ولا ينضج ولا يثبت ، والأوراق الخريفية تذبل وتسقط بعد أن تترك الوصية والإتكال على الله والثقة فى عنايته وحمايته ، وتدخل فى تيار الخطية وفى مناقشات غبية صائرة تحت نير مع غير المؤمنين .

إن السيد المسيح ، كلمة الله ، مخفى وراء الوصية ، فمن يعيش الوصية يلتقى به ، ومن يرتد عن الوصية يتعد عنه ويمسك بحبال خطيته (أم ٢: ٥) .

### هل يمكن أن يرتد خادم عن الإيمان؟

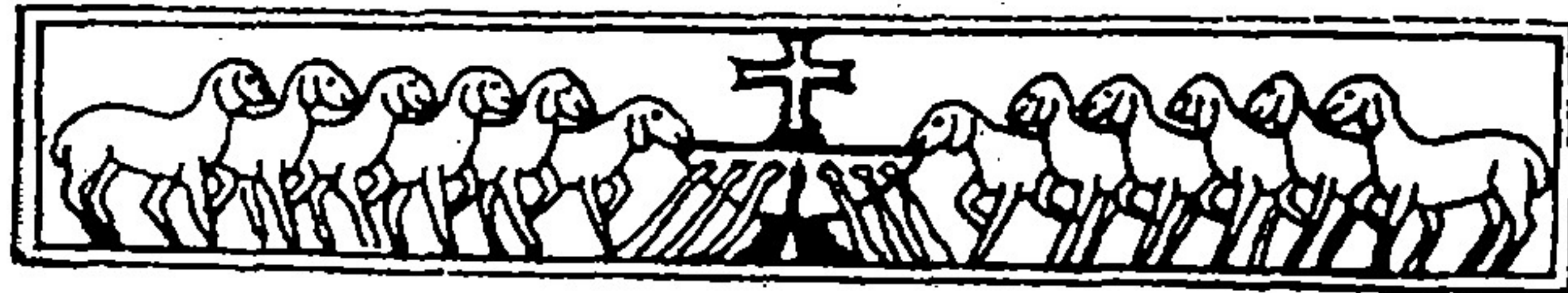
يذكرنا القديس بولس «إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١ كو ١٠: ١٢) ، فالسقوط يمكن أن يحدث حتى للخادم «لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مراراً ، والآن أذكرهم باكياً وهم أعداء صليب

المسيح» (فى ٣: ١٨) ، ويشرح بولس الرسول مأساتهم فيقول «الذين نهايتهم الهلاك ، الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات» (فى ٣: ١٩) .

إن الخادم الذى يترك محبته الأولى والذى له اسم أنه حى وهو ميت ، وكذا الخادم الفاتر ، يذهب عنه روح الرب وينزع منه ملكوت الله ، ولعل أسوأ مثال لمن هلكوا من الخدام كان يهوذا الأسخريوطى أحد الأثنى عشر ، وديماس مساعد بولس الرسول الذى تركه إذ أحب العالم الحاضر (٢تى ٤: ١٠) .

فالصراع قائم بين الحياة والموت و«الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت ٢٤: ٢١) ، «لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية» (عب ١٢: ٤) وكل من لم يتدرب على الجهاد واليقظة الروحية ملاحظاً نفسه والتعليم ، يفقد الطريق وتكون أواخره أشد من الأوائل .

ينزعج المؤمنون عندما يرون هذه الأمور حادثة بينما يحدثنا الرسول بولس عن أشخاص «بدأوا بالروح وأكملوا بالجسد» (غلا ٣: ٣) .



## سيكولوجية الشخص المرتد

لا بد من فهم نفسيات الذين يرتدون عن الإيمان ، ذلك أن الإيمان في صميم شخصية الإنسان وحياته .

### الشخصية المشككة

كثير من الشخصيات القابلة للتشكيك تريد أن تخضع الأمور العقيدية للعيان لا الإيمان ، وأن تخضع الأمور الإلهية العالية عن الأفهام لمستوى الحواس والإدراك البشرى المحدود .

وعندما تقع الشخصية الشكافة فريسة لحروب إبليس من جهة سلامة إيمانها ، تنسلخ من جسم الكنيسة فيسهل تضليلها ومحاربة إيمانها .

والشك يعدم الإنسان الرؤية الصحيحة ، لذلك نجد أن عمل عدو الخير الرئيسى هو إثارة الشكوك وتشكيك الإنسان في قوة الإيمان فمن جانب يحطم نفسيته ليعزله عن الله ، ومن جانب آخر يستفرد هو به .

إن الأفكار التشكيكية تتسلل وتزحف داخل الثقوب الصغيرة لتفسد كرم النفس في بدء نموها ، ولتبدد ثمر الإيمان خلال المفاهيم المضادة التى تضل قلب البسطاء والمتشككين ، بينما أمور الإيمان غير منظورة

وفوق المنطق .

ويميل البعض إلى تغطية عجز وقصور شخصياتهم بالاسترسال فى مناقشات وإثارة الشكوك ، من أجل رغبتهم فى الظهور وإثبات الوجود بالكبرياء العقلى .

وواجبنا مع هذا النمط من الأشخاص أن نعمل معهم من أجل مزيد من الإيمان لينتهى بهم شكهم إلى شهادة توما الرسول فى صرخة إستعلان «ربى وإلهى» (يو: ٢٠: ٢٨) .

### الشخصية اليائسة

هناك نمط من الشخصيات التشاؤمية اليائسة التى تنحنى أمام ضغوطات الحياة ومن ثم تتحرك فى طريق مسدود ، فتتورط فى مشكلات وتعالج مشكلات بمشكلات جديدة «فقدوا الحس ، اسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة فى الطمع» (أف: ٤: ١٩) .

وذلك اليأس يدفع هذا النمط إلى تورط مادي أو عاطفى أو جنسى ، بل وربما يرى أن فى تورطه هذا لونا من ألوان الإنتقام من المجتمع المحيط به فيسرى اليأس فى النفس كفعل السم البطئ ، وفى الحقيقة أن اليأس فى ذاته علامة على عدم إيمان النفس التى ترفض الأدوية بحجة إستعصاء شفاء جراحاتها ، بينما شخص المسيح هو سلامنا ورجاؤنا ، وهو وحده الذى يهدئ ثورات النفس الداخلية ويسندها .

الإنسان اليائس والقلق يزيد إلى ضربات العدو الشرير ضربات أخرى

يقوم هو بها فيتحالف مع الشيطان ويترك لشهوته العنان ويدخل العالم إلى قلبه... إنها ضربات يوجهها لنفسه بنفسه ، فيكون كالملاك الذي يترك رأسه بين يدي خصمه.

فالشيطان يستخدم كل الحيل ليزرع في النفس فكر اليأس والخوف من الرجوع ليثقل أحمالها فتهلك سفينتها «يسقطون ولا يقومون ، أو يرتد أحد ولا يرجع» (أر ٨: ٤) إذ عندما تثقب السفن تدخلها المياه من أسفل فتغرق .

في كل وقت تحتاج هذه النفوس إلى الإيمان الذي هو منبع كل البركات وترياق الخلاص ، وبدونه يستحيل أن تملك شيئاً من التعاليم الإلهية ، بدونه يشبهون أناساً يحاولون عبور المحيط بدون سفينة ، معتمدين على إجادتهم للسباحة فيستعملون أيديهم وأرجلهم ، حتى إذا ما تقدموا قليلاً سرعان ما تبتلعهم الأمواج ، وهكذا بينما يتمسكون بيأسهم متغاضين عن الإيمان ومرساة الرجاء «تنكسر بهم السفينة من جهة الإيمان» (١ تي ١: ١٩) .

### الشخصية الأنانية (الترجسية)

هذا النمط الأناني من الشخصيات يجعل صاحبه لا يفكر فيمن حوله تاركاً إلتماؤه الأسرية - (رابطة اللحم والدم) - وإلتماؤه الكنسية ، وفي مشاعر متبلدة لا يرى إلا شهوته ورغباته الحمقاء كما لو كانت لائقة .

فالنفس الأنانية مستبيحة تظلم بالشهوات وبالمجد الباطل وتغرق في

أعماق الجهالة ، لا تعود تسمع لا لوصايا الكتاب لمقدس ولا لنداءات العقل الطبيعي ولا لنصائح آباء الكنيسة ورعاتها «صلبوا وجوههم أكثر من الصخر أبوا الرجوع» (أر ٥: ٣) .

ويختصر تنجذب النفس الأنانية لأية لذة جسدية وتعاودها الأفكار والأفعال النرجسية والتخيلات ومشورات العدو فتندفع في نوبة شيطانية تجذبها جاذبية مغريات العالم وشهوات الجسد ، فيقترب منها الأشرار ليأكلوا لحمها .

إن ما تعانيه النفوس الأنانية المختالة من رفض لإغداق نعمة الله عليها ، يحرمها من صلابة الرجاء ويصيرها كغبار يندفع بعيداً عن الأرض الصلبة الثابتة ، عندما تبرد محبتها بسبب برودة خطاياها المتزايدة فتصير جامدة كالثلج لا تبالى بنموها وأبديتها .

الأمر الذي أعلنه الله في أشعياء «ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا عليّ» (أش ١: ٢) فهؤلاء البنين صاروا بنى الغرباء ، فبحسب الطبيعة هم أبناء ، إذ هكذا خلقوا ، لكن حسب أعمالهم لم يعودوا أبناء له ، فيقتلعون ولا يكون لهم موضع في الكنيسة مدينة الرب .

إن الشيطان يدفع حرب الأنانية والترجسية إلى النفس بغير هوادة ولا يتركها تتنفس لحظة واحدة من الزمن كي يحرمها من الخلاص ، لا لأن الله قد رفضها وإنما لأن قلبها مبني على الرمل لا الصخر... مبني على محبة نفايات العالم الواهية ، لا محبة يسوع الحقيقية .

فيهوذا رفض النعمة ، والشعب غليظ القلب فى القديم رفض الله  
وعبد العجل الذهبى

### الشخصية المترددة

هذا النمط من الشخصيات يتسم بالسذاجة واللامبالاة وعدم الرسوخ  
«رجل ذو رأيين هو متقلقل فى جميع طرقه» (يع ١: ٨) ومن ثم تعرج  
هذه الشخصية بين الفرقتين ، دائمة التقلب ، نائمة بين أمور كثيرة ،  
تترنح وتسير فى خط ملتو zigzag.

إن الشخصية المترددة ضعيفة الإرادة تنكر للنور ولا ينتظرها بعد ذلك  
إلا الظلمة وراء الظلمة! والإنسياق فى الخطية هو التورط من السئ إلى  
الأسوأ حتى تمام الغرق ، وكلما ظن الإنسان أنه وجد ملجأ فيه سلامته ،  
يكشف أنه إزداد غوصاً فى الوحل ، فالتردد ظلمة لا نهاية لها وليل بلا  
فجر ، لأنه لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، والخضوع لسيدين هو خداع  
«يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه فلا يظن... أنه ينال شيئاً من  
عند الرب» (يع ١: ٧).

لذلك الشخصية المترددة لا تختبر الفكر من بدايته إن كان ضاراً أو  
نافعاً بل ترفض أو تقبل الأفكار حتى قبل تضاعفها وضغطها دون أى  
تباطؤ فى إرتباط أئيم معها ، وهكذا ترى الضعيف المتردد يؤذيه كل شئ ،  
أما القوى فينتفع من كل أمر ، وفى كل حالة تكون الإرادة هى علة  
الشر ، وتكون الحالة هى السبب ، فمن كان فى ضعف ساد عليه

الضعف ، ومن كان فى قوة صارت له القوة .  
ويطرأ التغيير على النفس المترددة وفقاً لنوعية الظروف التى تقابلها فنقرأ  
عنها «أما الجاهل فيتغير كالقمر» (ابن سيراخ ٢٧: ١٢) ، تتردد فى رغباتها  
وشهواتها وجموحها «كل الأشياء تناوى الرجل الجاهل» (أم ١٤: ٧)  
تتحول عن الأبديات وتصنع هلاكها بالموت بيدها مزدوية بروح النعمة  
وبالثبات فى المسيح الكرامة الحقيقية .  
الشخصية السطحية

هذا النمط من الأشخاص يتسم بالأمية الروحية والضحالة «ليس كل  
من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل إرادة  
أبى الذى فى السموات» (مت ٧: ١٥) .

فالحياة مع الله ليست مجرد إيمان نظرى (أى الإعتقاد الدينى) أو  
مراعاة لبعض الشكليات ، لذلك لا بد أن يتميز إيماننا بأن يقترن بالمعرفة  
والأعمال الصالحة حتى يختلف عن إيمان الشياطين الذين «يؤمنون  
ويقشعرون» (يع ٢: ١٩) فتصبح إيماننا بعيدة عن هامشية العقل وسطحية  
المعرفة وشاطئية الممارسة .

إن النفس التى تحيا فى سطحية يكون هلاكها أمراً وارداً «هلك شعبى  
من عدم المعرفة» وربما كثير من المتعلمين لا يعرفون شمالهم من يمينهم  
مكتفين بالقشور دون العمق والجوهر ، بينما «الرخاوة لا تمسك صيداً»  
(أم ١٢: ٢٧) .

وهنا يتضح أن الجهل وعدم المعرفة هو الذي يضيع غير المنتبهين وغير العارفين ، لأن أبلوس - كما هو واضح من أسمائه - يدعي «المضلل» ، بينما المسيح الهنا يجل في قلوبنا بالإيمان لتأصل وتتأسس وندرك ما هو العرض والطول والعمق والعلو (أف: ٣: ١٤) .

تسطح الشخص السطحي لا يستطيع أن يبني نفسه على الإيمان الأقدس ، محمولاً بكل ربح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال (أف: ٤: ٤) .

بينما كل إنسان مسيحي مدعو للدخول إلى العمق ليمسك سمكاً كثيراً جداً (لو: ٥: ٤) .

ليس هناك متسع من الزمان تقضيه في السطحية لئلا نلام على فلس أدينا وفقر خضادنا... فلتبني بيتوتنا بأن نحفر ونعمق ونضع الأساس (لو: ٦: ٤٨) .

### الشخصية الخيالية غير الواقعية

هذا النمط من الأشخاص يعيش في أحلام اليقظة فيصور له خياله أن مشاكله سوف يتم حلها إذا ترك الإيمان المسيحي ، وتحول الشخصية الخيالية إلى حماقة في الفكر متجهة إلى التفاهة مثل الإنسان الذي يحاول في ليل بلا قمر أن يسير في طريق غريب أو يسافر في بحر لا دراية له به ، فلا يبلغ وجهته بل يضل في خيالات غير واقعية ، في محاولة التحليق في الأوهام ، وهكذا يتبدد النور من نفوسهم وعضواً عنه يسلمون ذواتهم لأفكارهم الذاتية ويطلبون الله غير الهولي (أي غير

المادى) في الأجسام والزمنيات جاعلين له أشكالاً وأصناماً ، وتتنوع خيالات هذه الشخصيات ، ورغم أنهم يملكون أشياء غالية لكنهم يريدون غيرها غير مكتفين بما أعطى لهم ، لاهئين وراء كل جديد .

إنه في الأزمنة الصعبة (٢ تي: ٣: ١٠) يخاف البعض لئلا يفقدوا المملكة الأرضية ، بينما هم يفقدون السمائية التي كان يليق بهم أن يخافوا فقدانها... يمشون في شهوة الزمنيات ويخالطون أهل هذا العالم ، لا يفهمون ولا يطلبون الله .

لا شك أن كل عقل حسب مقدار تدرجه يستنير بكمية محدودة من النور ، أما النفس الغارقة في برودة خيالاتها فتهلك ، إذ أن الشيطان غير قادر على تقديم شيء عملي ، لذا يقدم بالأكثر وعوداً خيالية خادعة .

إن الله هو قائدنا والشيطان هو مهلكنا ، القائد يقدم وصايا وأدوية الخلاص ، والمهلك يقترح الخداع والموت ، فهل نصغى إلى وصايا الحياة أم إلى خداع الموت؟

### الشخصية العاطفية

هذا النمط من الشخصيات تنجذب عاطفياً في أي اتجاه وتسمع لصوت الغريب ولا تخضع لصوت الصمير أو لمنطق الأشياء فتبتعد عن العقل والحكمة وتسلك في تفاهاتها ممزقة أوصال الوجود الإنساني ذاته .

تلك النفوس لا تظهر إيمانها ورجاءها بالله بإزديادها ونفورها من تصورات الشر والإنقياد العاطفي الخادع ، بل على العكس تتلذذ بها وقت

أن تتعرف عليها وتنجرف فيها ، وعندئذ تترك بلا معونة لعدم أمانتها وإتكالها على ذراعها ، فتواجه من كل ناحية مصادمات التورط العاطفى التى تتوارد عليها ، بعد أن سعت إليها ولم تظهر أى حذر نحوها منذ بدء ظهورها «ثعالب صغيرة مفسدة الكروم» (نش ٢: ١٥) .

تتعرض الشخصيات العاطفية إلى سهام الشيطان وهجوم الشهوات وأوجاعها مما يسبب إضطرابها ، منقادة بعواطفها إلى الموت مثل المجنون أو السكران ، عندما تغذى الدوافع الجنسية الأفكار والعادات لتتحرك الخطية الكامنة .

فعندما تحرم النفس من خلاصها نتيجة شهوتها - وراء كل إلحاد شهوة - تبدأ فى الغرق إلى أسفل ، متورطة ومقيدة بطوق من حديد ، مختارة لنفسها أن تفعل وتقول كل ما يضاد خلاصها ، فكما أن المجانين عندما يفقدون سلامة عقلهم لا يعودون يخافون أو يخجلون من شئ ، بل بدون خوف يتجاسرون على صنع كل شئ ولو أدى إلى سقوطهم فى النار أو فى هوة عميقة ، هكذا النفوس المتورطة فى علاقات عاطفية سلبية تندفع نحو الرذيلة حتى يأتيها الموت كحد فاصل لجنونها وانسياقها فى تيار يصنع لها عاراً وأضراراً لا حد لها .

لقد صارت نفوس عديدة عدوة لنفسها ، أحرقتها نيران شهواتها وسموم عاطفتها الشريرة ، فارتكبت أعمالاً إجرامية نابعة من عدم الإيمان متحججة بأعذار لا تنفع ، فكان النار والكبريت نصيب كأسها .

## لكى لا ننكر المسيح

### حاجتنا إلى المسيح

بمنتهى السهولة والواقعية نقول «المسيح يسوع هو حياتنا الحقيقية... هو حياتنا التى لا يمكن أن تفارقنا» هذا هو الواقع الإلهى الحى «المسيح حياتنا» (كو ٣: ٤) الذى عاشه المسيحيون الأوائل جيلاً بعد جيل مؤكدين على أن المسيح هو الحياة ، وهو الذى يعجن جبلتنا من جديد بحياته الخاصة ويغرس فينا حياته الخصوصية مع كل صفوف شعب الله الحى . لذلك لنعلم يقيناً أن المسيح ربنا هو حاجة حياتنا الوحيدة التى تنقصنا وأنها إذا بعدنا عنه إزدادت حاجتنا إلى أشياء كثيرة من هذا العالم ، وإزداد قلقنا على الأمور الخاصة والعامة فى حياتنا .

وكثيرون من الذين ينحدرون فى الإرتداد الجزئى يتوهمون أن العالم سيوفر لهم إمكانية حل مشكلاتهم ، بينما يقدم لنا القديس موسى الأسود خبرة حياته فى قوله «إلجأ بنفسك إلى الله فتستريح» ويقول القديس أغسطينوس «خلقنا يارب متجهين إليك وستظل نفوسنا قلقة إلى أن تستريح فيك» .

والجواب الوحيد الذى يرد على العديد من التساؤلات ، أو على وجه الأصح الذى يلغى التناقضات ، هو أنه لا يوجد علاج للذين تعصف به غرائزهم ومطامعهم وشهواتهم ، فيتمردون على كل القيم الروحية ويصابون

بعمى روحى يجعلهم يقترفون أشنع التعديات حتى ضد أنفسهم سوى إقتناء شخص المسيح أولاً ، وبعد ذلك كل ما للمسيح من غنى وشبع وسرور .

فإقتناء المسيح يجعل الإنسان يتجاوز عجزه ومرضه وقصوره وجوعه وألامه وموته ، الأمر الذى تلمسه النفوس المؤمنة الراضية التى أدركت أن المسيح لا يباع ولا يثمن بثمن «لأن الذين أستنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الأتى وسقطوا ، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة» (عب ٦: ٤) .

### الجزع من الصليب ورفض الباب الضيق

يرفض الذين يتركون الإيمان أن يدخلوا من الطريق المؤدى إلى السماء ومن الباب الضيق ، وينزلقون فى السبل الرحبة المؤدية إلى الهلاك ، إذ أنهم يرفضون المرور من الباب الضيق غير عالمين أن لذة التراب لن تدوم وأنها قصيرة وليس لها مجازاة... تعبر سريعاً ولا يبقى لصاحبها منها شئ .

والذين يحملون صليبهم لا يجزعون من الضيقات «ليقل الضعيف بطل أنا» (يوئيل ٣: ١٠) فعندما يفارقون الحياة يكون لديهم رصيد من الأكاليل .

إن طريق البر يحوى جهادات كثيرة وحرباً مع أجناد الشر الروحية «من لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذا» (لوقا ١٤: ١٧) .

أغلب الذين يتركون الإيمان ينزعجون من ضيق الباب ويرتدون أمام ما يتطلبه الطريق من جهاد وحمل الصليب ، وهذا محك هام يؤكد سلامة الخبرة والمسيرة الإيمانية «أما نحن فلننا من الإرتداد للهلاك بل من الإيمان لإقتناء النفس» (عب ١٠: ٣٩) .

### وديعة الإيمان

هذه الأمانة سلمها الرب لعبيده ، وديعة الإيمان الثمين وسر الخلاص على أساس الأمانة والمتاجرة والربح ، لأنه بعد عودته سيطلب منهم حساب الوكالة .

فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على خدمه؟ أما الذى استهتر بسيده ولا يحفظ ثيابه فيمشى عرياناً وترى عريته وي طرح إلى الظلمة الخارجية (مت ٢٥: ٣٠) ، والذين يكملون توبتهم ويرجعوا تمحى خطاياهم وتأتى عليهم أوقات الفرج من عند الرب ، أما الذين لا يكملون فيرتدون ويقطعون ويكون نصيبهم مع الخائنين .

فالمعمودية كاملة فى مفعولها إلا أنها لا تكمل إنساناً أخفق فى تكميم الوصايا ، ووديعة الإيمان لا تكون فقط أن نعتد للمسيح بل أن نعكف على تكميل وصاياها حتى لا نكون ضمن الذين ويخهم الرب قائلاً : «لماذا تدعوننى يا رب يا رب وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟» (لوقا ٦: ٤٦) أولئك الجهال الذين أسسوا بيوتهم على رمال شهواتهم الخاصة .

ولنعلم يقيناً أنه بدون إيمان لا يمكن إرضاءه (عب ١١: ٦) فترس

الإيمان هو الذى يطفى جميع سهام الشرير الملتهبة ، وإذا كان بطرس الرسول قد إحتاج إلى معونة الرب لكى لا يفنى إيمانه ، فمن هو الذى يكون هكذا أعمى حتى يتصور أنه فى غير حاجة إلى تعضيد يومى من الرب لكى يحتفظ بإيمانه!! «زد إيماننا» (لوقا ١٧: ٥) «يا سيد أعن عدم إيمانى» (لوقا ٢٤: ٩) .

إن النفس التى يخطبها المسيح العريس السماوى لنفسه لأجل شركته السرية الإلهية ، بعد أن تذوق غنى الإيمان السمائى ، يجب عليها بكل الجهد والميل العقلى أن تحفظ وديعة إيمانها لترضى حبيبها وترفع نفسها إلى هذا العريس السمائى بسيرتها الإيمانية الحسنة .

ومتى كنا متيقظين ساهرين على سلامة إيماننا لن يسطو علينا اللص ، ولن ننكر إيماننا حتى فى وقت الشدة (رؤى ١٣: ٢) لكن نكمل السعى ونحفظ الإيمان ، لأن تركية إيماننا هى أئمن من الذهب الفانى الممتحن بالنار ، طالبين دائماً من رئيس الإيمان ومكمله (عب ١٢: ٢) أن يعين ضعف إيماننا ، وهذه تكون الغلبة التى تغلب العالم: إيماننا (يو ٥: ٤) .

### حفظ القلب من الإرتداد

يوصينا الكتاب المقدس بحفظ القلب «احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة» والذى لا يحفظ قلبه يصير مثل أولئك الذى قادهم موسى النبى ، فرغم أنهم لم يرجعوا بأجسادهم إلى مصر إلا أنهم رجعوا بقلوبهم ورفضوا الله الذى أخرجهم ، إذ يقول الكتاب «ورجعوا بقلوبهم إلى مصر قائلين

لهارون اعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا» (أع ٧: ٣٩، ٤٠) فلننظر لكلا نسقط فى دينونة مثلهم ، إذ بعد أن ذاقوا المن السمائى اشتهاوا الطعام الأرضى الذى للخطايا وفرطوا فى هدف مسيرتهم وحياتهم .

ويحذرننا الكتاب «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم» (١يو ٢: ١٥) فمنذ الآن الوقت مقصر لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم ، والذين يفرحون بالعالم (هداياهم ومجده وماله وعزه وإغراءاته) كأنهم لا يفرحون ، والذين يشترون (ويكثرون مالاً وعقاراً ومقتنيات) كأنهم لا يملكون ، والذين يستعملون هذا العالم (للظهور والمتع والمراكز والقوة) كأنهم لا يستعملونه ، لأن «عند الذين يترجون الرب والحياة التى لا تزول» هيئة هذا العالم تزول (١كو ٧: ٢٩) .

ولن يحفظ القلب من الإرتداد إلا بمخافة الله ، فحيث لا توجد مخافة لا يوجد إصلاح حقيقى للسيرة «أجعل مخافتى فى قلوبهم فلا يحدون عنى» (أر ٣٢: ٣٩) ، والتوبة المستمرة هى الثمن الذى حدده الرب من أجل الحصول على الغفران وهبة ميراث الحياة الأبدية ، ومهما كان الإنسان أكثر شراً فالله أكثر رحمة ، والإعتراف بالخطية يهونها بقدر ما أن إخفاءها يكبرها ، لأن الإعتراف بمخافة هو قرين الرضا ، أما الإخفاء والتأجيل هو قرين التمرد «ها أنت قد برئت فلا تخطئ ايضاً لكلا يكون لك أشر» (يو ٥: ١٤) .

ويطلب منا الله قلوبنا «يا ابنى اعطنى قلبك» بينما كثيرون لا يحفظون قلوبهم من الإرتداد الجزئى فيرتكبون عشرات متكررة عن عمد لإغاية

الرب (أش ٣: ٩) بلا خجل ولا حياء معتبرين أن ما يمارسونه هو حق طبيعي للإنسان ، وبينما هو يولون ظهورهم لله ينكرهم هو ايضاً ويجيبهم قائلاً «إذهبوا عنى لأنى لا أعرفكم» «إن كنا ننكره فهو ايضاً سينكرنا» (٢ تيمو ٢: ١٢).

### الرجوع إلى حظيرة الإيمان ثانية

إن كبار الخطاة هم مؤهلون أكثر للنعمة ، فالكنيسة تكرم بوجه خاص كل من الابن الراجع واللص التائب على الصليب والمرأة التائبة ، والذين سيئون إلى المسيح يومياً ويجرحون المحبة ، يقبلهم الرب بقطرات الدم الكريم التى سكبت على الصليب ويقترّب من كل من يرجع إلى الحظيرة مهما كانت ذنوبهم وخبراتهم المرعبة وما يسميه الدارسون «الليل الحالك الظلمة» والله يطلب منا علة صغيرة لكى يقوم هو بكل العمل ويسكب علينا فيض النعمة كدواء مناسب للجراحات بل وايضاً يعطى صحة وجمالاً ومجداً وإستحقاقاً لكل من يرجع ، إذ أنه قد دفع أكثر بكثير من العقوبة ، كمثّل ما تفوق مياه المحيط قطرة ماء صغيرة .

«من هو إله مثلك ، غافر الإثم وصافح عن الذنب ، لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يسر بالرفقة» (ميخا ٧: ١٨) لقد أتى ليعفو عن المديونين بالكثير أو بالقليل ويظهر رحمته للصغير والكبير ، فيرحم كل أحد حتى من الذين تركوا الحظيرة ورجعوا تائبين مقرين بخطاياهم ، يقبلهم وينسى لهم ماضى الخطية الحزن والقاتل للنفس .

ورجوع النفوس أمر هام لنمو الكنيسة ، الأمر الذى يطلبه الرب ثمناً لدمه ، لذا تعمل الكنيسة على إصلاح ضعفاتهم وتحتملهم ولا تلقيهم عنها مهما ثقلت بهم ، ليجدوا أنفسهم موضع عطف وتبكييت لا موضع إزدراء ورفض ، فمغبوط هو الذى يؤدب فى هذه الحياة ، فإن الرب لا يعاقب عن أمر مرتين .

وتوصى الكنيسة بارجوع النفس التى تميل ويقبول النفس الخارجة وإعادتها إلى الرعية ، تسأل عن المطرود وتفتش عن الضال حتى لا يهلك وتطلب المريض بالغفلة لتأتى به من بين الذئاب لتبشره بالرجاء .

وهى تترفق حتى بمنكرى الإيمان ولا تغلق عليهم أو تطردهم ، بل تصب عليهم زيتاً وخمراً لتضمّد جراحاتهم ما داموا قد رجعوا تائبين معترفين بخطاياهم طالبين الشفاء وراغبين فيه .

وإن تأجلت إعادتهم إلى الشركة لفترة توبة ، فليزيدوا من ندامتهم لئلا يهلكوا بعد أن مات المسيح لأجلهم ، وليقبلوا بكل رضى كل علاج ونصيحة ، فإن كان الطب الجسدى يقدم الأدوية المرة والجراحة بقطع الأعضاء والكبي بالنار ، فكم بالحرى يكون خلاص النفس .

لن يكون الرجوع إلى الحظيرة بدون قانون التأديب ، لأن «الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله ، إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين ، فأى ابن لا يؤدبه أبوه» (عب ١٢: ٦) وكل نفس تنكر الإيمان وتجحد المسيح لابد أن تقف على حقيقة خرابها وبصير تأديبها إحساناً عظيماً لها .

إلا أنه مهما كان هلاكها وسقوطها ، سيمر عليها السامرى الصالح حارس الأرواح ولن يتركها ملقبة بين حى وميت ، إنما يتحنن عليها ويشفى إرتدادها .

فأولئك الذين يخطئون بعد المعمودية لا بد أن ينالوا تأديباً أكثر من الموعوظين ، لأنهم عرفوا أدوية التوبة وطريق الخلاص ولم يستخدمونها ، ويقدر ما تتسع مراحم الله ، يزداد تأديب من لم ينتفع بهذه المراحم .

لهذا تضع الكنيسة قوانين توبة وجهاد روحي للخراف المريضة الراجعة حتى إذا شفيت عادت مع الخراف الصحيحة.. تعالج بالنصيحة لا الحكم ، بالدواء لا القصاص ، بالتقويم لا التعذيب ، بالشفاء من الخطية والحفظ من الخطايا الأخرى .

والذين يُظهرون إنحرافاً زائداً فى شرورهم ، لا بد أن يُظهروا غيرة كبيرة عند عودتهم إلى الحظيرة ، وذلك لشعورهم بثقل الدين العظيم المدينون به مدفوعين بضميرهم وتذكرهم لسقوطهم فى الطيش الشيطاني ، على اعتبار أن الحياة الحاضرة هى زمان السيرة الحسنة لأن بعد الموت تكون الدينونة والعقاب «ليس فى الجحيم من يعترف لك» .

نقول أن الذين غلبوا إبليس ورجعوا إلى حظيرة الإيمان لهم كرامة أفضل بكثير من أولئك المغلوبين «واحد يتقى الرب خير من ألف منافقين» (ابن سيراخ ١٦: ٣) .

والكنيسة تبكى من أجل كل نفس بعيدة لتعيد لها الحياة وتقيمها

من الموت ، وتُعطي إهتماماً خاصاً لهذه النفوس التى سرقها اللصوص... تقوى المريض وتعصب المجروح وتجبر الكسير وتسترد المطرود وتطلب الضال وتجمع الخراف المشتتة على جبال المعاصي لتأتى بهم إلى الحظيرة ثانية

مر يارب أن تمتلئ ببعثك ، محضراً الراجعين إلى وليمتك لأنك أنت تخلق «روحياً» من يتبعك عندما تدعوه .



## الخلاصة

### أساليب وخبرات

□ إن مهمة الكنيسة الأساسية هي حفظها لأولادها ، لأن فيها حفاظ على كيانها ككنيسة المسيح التي تهتم ببناء النفوس وخلصها: بالتوبة والعبادة وكلمة الانجيل والشركة والشهادة والإعداد للحياة الأبدية بالأسرار والتعليم والإرشاد والوعظ والافتقاد والخدمة والعمل الرعوى.

□ ومن أخطر الملاحظات أن بعض المؤمنين يرتدون إلى الخلف ، ونحن بالطبع لا نقصد الإرتداد النهائي وإنكار المسيح علناً - مع أنه ورا - لكننا نقصد الإرتداد الجزئى الذى يمكن أن يؤدي إلى إنكار نهائى بصورة أو بأخرى «لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة حتى يضلون لو أمكن المختارين أيضاً» (مت ٢٤: ٢٤).

□ والملاحظ أن الذين يرتدون أحياناً عن الطريق تكمن أسباب إرتدادهم فى إنتشار السابق لمجى الرب الثانى «الروح يقول صريحاً أنه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان» (١تى ٤: ١):

(١) البداية الروحية الخاطئة وعدم وجود خبرة مسيحية (السطحية والأمية والهامشية الروحية) .

(٢) مشاكلة أبناء هذا الدهر والوقوع تحت نير مع غير المؤمنين (الخلطة).

(٣) الجزع من الصليب ورفض الدخول من الباب الضيق .

(٤) المنازعات والأحوال الشخصية .

(٥) مصادمات الحياة اليومية ، والإصطدام بالأجواء الفاسدة والإغراءات والشخصيات المنحرفة .

(٦) ضعف الرعاية والخدمة ، فالبعد عن أعين الكنيسة ومناطق الرعاية يجعل خراف القطيع مطمع للذئاب .

(٧) عثرات الجور الكنسى ، فالخادم المعثر وبال على الكنيسة «خير له لو يعلق فى عنقه حجر رحى ويفرق فى لجة البحر» (مت ١٨: ٦) .

□ لذا ينبغى أن تتضاعف الرعاية الروحية وخصوصاً فى المناطق المهمشة، لتقديم الإشباع الروحي والقلبي للنفوس البعيدة مكانياً ، فالذين لا يقدر أن يأتوا إلى الكنيسة تنتقل هى إليهم لتقدم لهم أيضاً المصل الواقى «درهم وقاية خير من قنطار علاج» .

□ يلزمنا وضع منهج متخصص لخدمة هذه الخراف ، يتضمن تدعيمها إيمانياً وروحياً وسلوكياً ، فإذا كانت الكنيسة قد قدمت تعليماً كرازياً للوثنيين ، وتعليماً وعظياً للمقبلين على قبول نعمة المعمودية (تعليم الموعوظين) وتعليماً لاهوتياً للمؤمنين (مدرسة الأسكندرية اللاهوتية) وتعليماً إيمانياً للرد على البدع والهرطقات فى عصر المجامع ، وكذلك أعدت برنامجاً لتعد أبناءها للإستشهاد فى عصر الإضطهاد ، هكذا يتعين عليها وضع برنامج خاص للرد على الشكوك الإيمانية وللوقاية من الإرتداد (تكلم القديس اغريغوريوس صانع العجائب عن «جحد المسيح نتيجة الخوف والضغط» ، وتكلم القديس كبريانوس عن «المرتد»).

□ تحتاج هذه الخدمة إلى خدام صلاة ، فالنفس التي تتردد عن الإيمان ينبغي أن نضع عليها مناحة لتنتشل من وحل الخطية ، وتغتسل إلى أن تعود إلى كمال حسن صورتها التي أبدعها الله على شبهه والسير بها قدماً في طريق التوبة والحياة المسيحية السوية.

□ لن تكون خدمة هذه الخراف بالمحاجة والمقاومة أو بالتعنيف ، بل بالمشورة الصالحة والمثابرة والإستمرارية في خدمتهم بيقظة وبصيرة لا تعرف الكلل ، والروح القدس لن يكف عن أن يكملنا بصلاحه ويعطينا قلوب وديعة ورجية لنساعدهم على تعديل سلوكهم .

□ إن كثير من الخراف الضالة تحتاج إلى رعاية تهتم بكيانهم وشخصياتهم دون النظر إلى أفعالهم وقصورهم ، بل الإهتمام والإلتفات إلى نفوسهم المتوارية عن مجتمع الكنيسة والتي يظنون أنه ما من أحد يهتم أمرهم ، دون أن ندينهم البتة أو نحسبهم بفداحة أمراضهم مع سرعة توجيههم إلى أب روحى وطبيب خبير بالنفس البشرية يلقي نظرة شاملة على أمراضهم ويلم بكل نواحيها ليعالجها ككل دون إغفال لظواهرها المرئية.

□ تلك الأبوة الروحية ترعى كل ابن ضال وتعطى الدواء الذى قد يكون فى أغلب الأحيان مرأ علقماً لكنه دائماً ذو فاعلية ناجحة ، فما من أحد من هذه الخراف إلا ويحتاج إلى ترك حالة اليأس والسقوط والحياة كما كان من قبل ، لتتجدد قوته الروحية خلال فاعلية صلوات الأباء الروحية وحكمتهم العالية وقوة محبتهم الأبوية الواضحة التى يدركها مباشرة وفى

الحال وبحسها بطريقة مقررة وثابتة ، ويقول العلامة ديونيسيوس الأريوباغى «هكذا ينبغي أن يهذب الجهال ، لا أن يعاقبوا ، أن يؤخذ بيد الأعمى للسير به فى الطريق السوى لا أن يلفظ ويلكم» .

□ كثيراً ما نظن أن خدمة هذه الخراف تكون بالتقدمات والعطايا المادية ، بينما هى تستلزم بالأكثر صلوات يمتزج فيها العرق مع قطرات الدم.. ومن غير المتصور ألا يكون هناك إجتماعات صلاة وقداسات خاصة لأجل هذه الأعضاء ورجوعها «إن اتفق أثنان منكم على الأرض فى أى شئ يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات» (مت ١٨: ١٩) ... صلاة بإيمان أن المسيح ربنا يستطيع أن يحرك الجبال «الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل كنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شئ غير ممكن لديكم» (مت ١٧: ٢٠) ، فعلينا المواظبة على التوسل واللجاجة من أجل أن يقوم الرب ويعطينا قدر ما نحتاج لأنه لا يرفض طلباتنا التى حسب مشيئة قلبه .

□ إن مفهوم خدمة إيمانيات أعضاء الكنيسة يدفع المؤمنين جميعاً فى كل زمان ومكان أن يصلوا ويتوسلوا من أجل خلاص العالم بمحبة شاملة، لكي يقترب المسيح من خرافه المرتدة بود شديد ويحاول معهم متوسلاً إليهم ألا يستهينوا بحبه وخلاصه ، وأن يتركوا عنهم النفور والتصام عن سماع صوته الإلهى .

□ التركيز فى هذه الخدمة ينصب على تقديم الإيمان الحى وجدية التوبة والرجوع ، حتى لا تتحول المسيحية إلى تصورات نظرية فاترة لا

جدوى فيها ، بينما ينبغي أن تُخدم هذه النفوس المشوشة والمشوهة لترجع أيقونة كاملة لله بحثها على المواظبة على وسائل النعمة والممارسات الروحية .

□ إن النفوس التي جحدت الإيمان وارتدت ، يمكننا أن نقول دون أدنى مبالغة أنها لم تتجاوب مع عمل النعمة ، أو أنها لم تتلقى أى تعليم دينى فى طفولتها ، وغير مخدمة روحياً ، لذلك تحتاج إلى تذوق حلاوة المسيح بالمقارنة بمرارة ثمار العالم حتى تتخلى عن أساليب حياتها الأولى وتقلع عن سلوكها وعوائدها القديمة ، حيث كانت سابقاً بلا أدنى حصانة فى مواجهة العالم الخارجى لأنها لم تكن بعد قد عرفت الكنيسة وتتعلم هذه النفوس فى الكنيسة أن تمشى وأن تبصر وأن تتكلم وأن تحيا ، وكل رغبة فى الحياة لابد نابعة من الروح القدس «المعطى الحياة والمالئ الكل كنز الصالحات» .

□ والخادم الروحى هو الذى يستر على ذنوب الآخرين كما يستر الله على عيوبه ويمحوها بدمه... يستر على العثرات التى يراها كأنه لا يراها ، والتى يسمعها كأنه لا يسمعها ، ويضع نفسه جنباً إلى جنب مع المذنب المدان والمحروم .

□ والذى لا ينجح فى خدمته لا نتركه بل نستودعه لخادم آخر لخدمته ، إذ يحتاج المرتد إلى عمل فردى لا ينتهى بمجرد رجوعه لكنه يحتاج إلى متابعة وأشبين خاص لخدمته كحالة خاصة على أن تتم الخدمة فى ستر وسرية ، لعلنا بذلك نشترى ما يستر عرينا نحن قبل أن يأتى يوم الفحص .

□ تحتاج هذه الخدمة إلى حلول سريعة منطقية دون أن نقدم فيها أى وعود مادية حتى لا نتعامل بمنطق الطمع والإبتزاز والمساومة التى تتلف خلاص النفس ، وليس بالنطق أبداً بأقوال عاطفية باطلة لا طائل منها إنما بزيادة كل إنسان فى طريقه نحو الله ، قيادة متزنة حكيمة ، بعيداً عن الضجيج والشوشرة «خلصوا البعض بالخوف مختطفين من النار» (يه ١: ٢٣) .

□ ينبغي أن نفهم واجب الكنيسة وعملها الرعوى تجاه هذه الخدمة (خدمة الخروف الضال) لا بتقديم تعليم يقصد منه الإستحسان أو بإتباع سياسات التحويلات بل بمقابلة الإحتياجات بالبذل والصلاة والمحبة التى لا تسقط أبداً ، وبالإستشعار المبكر من أجل خدمة كل نفس «اعرف خاصتى» وذلك بالعضوية الكنسية وبالإفتقاد والعمل الفردى وزرع الإيمانيات وتقديم القدوة مع مراعاة: خدمة الأسرة ، الخدمات التنموية ، مدن الملجأ ، التوعية..... مع التركيز على الفئات المستهدفة .

□ نريد أن ندرك جميعاً قيمة النفس البشرية وخدمتها بالأحضان المفتوحة مع تقديم المعونة الروحية والمادية فى حينها ، الأمر الذى يستلزم تكوين خدام لخدمة هذه الحالات والإلمام بظروفها الإجتماعية والروحية وهزاتها الإيمانية وإنحرافات السلوكية ، لمساعدتهم على إجتياز مشاكلهم والخروج من ورطاتهم مع الإلتزام بالحكمة والهدوء وعدم الإتنفال بجانب المرونة واليقظة إذ هى أدوات لازمة للذين يخدمون خدمة الخروف الضال .

□ نريد أن نبتعد عن مقولة «ابن الهلاك للهلاك يدعى» لأننا لا نقدر أن

نصنف أحد أنه ابن هلاك ، فليس من إختصاصنا أن نحكم على أحد أو أن ندين أحد ونقضى على أى إنسان بالهلاك الأبدى .

□ يلجأ بعض العاملين فى هذه الخدمة إلى أساليب بشرية ، بينما طالما نحن حملان سوف نغلب حتى لو كان هناك عشرة آلاف ذئب يحومون حول الفريسة ، فنحن سنغلبهم بالصلاة والإيمان والعمل الروحى ، أما إذا جعلنا أنفسنا ذئاباً فسوف نصير إلى حال أسوأ ، لأن معونة راعينا ستتخلى عنا.. لأن الراعى لا يعول الذئب بل الحملان ، فهو يتركنا ويعتزل لأننا لا نعطيه الفرصة ليظهر قوته ولطفه معنا ، أما إن كنا نرد على الضربات فإننا نظهر بذلك أننا نتجاهل نصرته ، وكان من الممكن أن لا تتعرض لنا الذئاب وأن نكون نحن أقوى جداً من الأسود ، لكن الله رأى من المناسب أن نكون هكذا «حملان وسط ذئاب» ليتمجد هو أكثر ويعلن قوته «تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل» (٢كو ١٢: ٩).

شكراً لله لأنه مهتماً كان إرتدادنا وتهقرنا ، فأماننا وعد المسيح الصادق «غنوا للكرمة المشتهاة ، أنا الرب حارسها ، أسقيها كل لحظة... فى المستقبل يتأصل يعقوب» (أش ٣: ٢) وحتى لو قال عنا «شعبى جانحون إلى الإرتداد» فالذين معنا أكثر من الذين علينا ، وأماننا وعد أن المسيح فى وسطها فلن تزعزع إلى الأبد ، وأنه هو الذى يستطيع أن يقول

«أنا أشفى إرتدادهم» (هو ١١: ٢).

## الفهرس

- ٥ ..... مقدمة
- ٦ ..... آلام الرب الجديدة
- ٩ ..... الإرتداد الجزئى
- ٩ ..... الخطية أصل الداء
- ١١ ..... هى يجبر الإنسان على الإرتداد عن الوصية؟
- ١٤ ..... هل يمكن أن يرتد خادم عن الإيمان؟
- ١٦ ..... سيكولوجية الشخص المرتد
- ١٦ ..... الشخصية المشككة
- ١٧ ..... الشخصية اليائسة
- ١٨ ..... الشخصية الأنانية (الترجسية)
- ٢٠ ..... الشخصية المترددة
- ٢١ ..... الشخصية السطحية
- ٢٢ ..... الشخصية الخيالية غير الواقعية
- ٢٣ ..... الشخصية العاطفية

٥) القديس جيروم «الرسالة إلى استوكيوم» ٦) القديس أغسطينوس «عن البتولية» .

## ٢) كتاب «التربية عند آباء البرية»

يتضمن دراسة وافية عن الأنشطة التربوية في الكنيسة الأولى ، موضحاً دور الأسرة ودور الكنيسة في التربية ، كما يشرح أهم النظريات التربوية عند الآباء والتي تشمل «الوراثة والبيئة ، النعمة الإلهية ، إمكانية التربية ، هدف التربية ، الحياة النسكية كوسيلة للتربية» وكذلك يتناول العلاقة بين الأب الروحي وتلميذه وسمات كل منهما ودوره وطبيعة العلاقة بينهما ، بجانب أنه يؤرخ للوسائل التعليمية ووسائل الإيضاح التي استخدمها آباء الكنيسة في تربية تلاميذهم ، واخيراً يناقش موقف الآباء من الشقافة وتأثيرهم فيها ، ودور المدارس الرهبانية في التربية في العصر الأبائي .

## ٣) كتاب «سيكولوجية الاعتراف»

يُعد هذا الكتاب أول دراسة سيكولوجية نفسية لسر الاعتراف ، وهو يتناول المفاهيم السيكولوجية عن الخطية والذنب ودور أب الاعتراف وتأثيرات هذا الدور من منظور سيكولوجي ، وأوجه التشابه والاختلاف بين الاعتراف والعلاج النفسى ، كما يشرح الأبعاد السيكولوجية للحل والمتخفرة وحاجات المعترف النفسية ، وايضاً يفحص سر الاعتراف كوسيلة للتغيير والتحول نحو المسيح وكإكتشاف للاشعور ، ثم يوضح دور الكاهن كخديم لسر الاعتراف وكمعالج للمعترف .